حديث أخير عن موت متوقع

نفرت أسراب الطير ـ
وحلّق في قلب الريح جناح
وانكشفت للعينين الجثة :
جمجمة دامية ،
جسدا مبقور الاحشاء
شفة يلهبها الظمأ الناري
ولا قطرة مـاء

وأنا كنت الشاهد
كنت صدى الموت الجاثم
بين دم المقتول وسكين القاتل
نتلاقى في الحلم اثنين غريبين
تفاجئنا اليقظـة

نتلاقى في المرآة ، يحدق في
عينيّ ، أحدّق في عينيه ، نقول : ترى
من منا سيكون الخاسر ؟
لكني في ذروة رعبي
كنت اغض الطرف ، أقول : عساه
يمنحني يوما آخر :
(حين توغلت جذورا
عذراء بأعماقك وافترشت اغصاني
أفقك أذهلني أن الم
موتي في عينيك وأذهلني
انك قد حالفت الصحراء ...

حين انكسرت مرآتي
بادلني البحر مراياه الزرقاء
فكتبت اسمينا فوق الماء)
اقفرت الخلجان واقلعت السفن الجوفاء
من يحملنا للبر الآخر يا قلبي المشرع للاسفار !؟
يا طيرا أرهقه التحليق ولا أرض
سوى صهوات الماء

يا قلبي يا آخر جرح
لم تدركه حراب الاعداء :
في المنفى ولد الاطفال وأشرعت الابواب
شاب الاطفال واغلقت الابواب
وأنا وحدي ...
احلم أن يمنحني الأفق الشرقي شراعا
شبحا يحمل في عينيه الدفء وافراح العالم
لكني لم ألمح غير دم
قد لوّث في البحر شباك الصيادين
لم أسمع غير عويل الريح
وأنين جريح
لم آكل من زاد عمّده الرب
جوفي كالصحراء وزادي
حفنة تمر نتقاسمها
في السر على مائدة الشعب .

العراق (بدره) **عبد الخالق الركابي**

اجل استحضار عالم جديد ما يزال عصيا على الحضور) كمـا قال ادونيس . ذلك أنه ما يزال يبحث فيه المحتوى عن الشكل ، والشكـل عن المحتوى يأتلفان ويفترقان في آن واحد . يتضرجان بالدم ،وبالبياض في آن واحد .يقتلان ويهب احدهما الاخـر كل ما يملك فـي وقت واحـد .

هذا التناقض (الجدلية) في قصيدة سعدي ، ميزة محيرة ، ومقنعة في الوقت نفسه ، مقدرة على رؤية التجانس في التناقض ، والعالم الواحد في العالمين . و (القصيدة الواحدة) المتكاملة فـي (القصيدة ـ القصائد) .

ليس سهـلا أن يستمزج الشاعـر ، الصحو والكدر ، والرؤيـة الحديثة المعاصرة بالموروث الكلاسيكي الذي يبدو للبعض انه اصبـح مستهلكا . انها ، لو تذكرنا قدرة السياب ومواصلته المستمـرة ، والبياتي والبحث عن المضمون الجديد ، وبلند الحيدري واستشراف الامل في عالم الخيبات المتتالية . اقول انها ، لو تذكرنا كل ذلك، بالاضافة الى الابداع المشحوذ والثقافة والتجربة الحياتية العميقـة الواسعة .. لبدت المسالة في غاية الوضوح . ولنقل بكلمـةاكثر تواضعا . انها استيقاظ الحياة والرؤيا الابداعية ـ الجدلية التـي ترى الواحد في الكل . والكل في الواحد . وقوة الحياة في الحـي والميت على السواء :

عشرة قضبان على النافذة
عشرة اغصان على النافذة .

على أننا ، ونحن ما زلنا في حالة الاغتراب الابداعي ، وكانـه لا يكفي وحده ليكون جسرا بين الشاعر والعالم . لا بد مـن ملاحظـة الاغتراب الاجتماعي وهو يرتبط بالاول . والاغتراب الجسدي وهو يرتبط بالثاني . وقد عبر عن وصف هذه الحالة أبو حيان التوحيدي بما لا يمكن المفاضلة عليه ، قال : « هذا وصف غريب نأى عن وطن بنـي بالماء والطين ، وبعد عن آلاف له ، عهدهم الخشونة واللين .. فاين انت عن غريب قد طالت غربته في وطنه ، وقل حظه ونصيبه منحبيبه وسكنه ! وأين انت عن غريب لا سبيل له الى الاوطان ، ولا طاقـة به على الاستيطان ؟ بل الغريب من هو في غربته غريب .. الغريب مـن نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة .. ان حضر كان غائبا ، وان غاب كان حاضرا . هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه ، ولم يتزعـزع عن مهب أنفاسه ، وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه ، وابعـد البعداء من كان قريبا في محل قربه . لان غاية المجهود ان يسلو عـن الموجود ويغمض عن المشهود ، ويقصى عن المعهود . »

وهذا يمنحنـا الثقة على القول ، بان تجربة الاغتراب والنفي التي مر بها سعدي (سبع سنوات بعيدا عن وطنه ، السماء الاولـى) قد اكسبته خبرة . وانطقته بالمحنة بعد المحنة .. واقصته عن المعهود ، واتاحت له ، النظر الى تجربته الشعرية عن بعد ، نظرا ناقدا ،اذكر على سبيـل المثال قصائد : (مرثية الالوية الاربعة عشر ، الشخص الثاني انطباعات عن اغنية في قطار الساعة ١٢) ومعظم قصائد (بعيـدا عن السماء الاولى) فهي تقوم على تآخ موثق حاد بين مكونات القصيدة ومحتها . اعني بذلك أيضا ان سعدي يحكم قبض قصيدته ، يخضـع

التتمة على الصفحة ٦٥